الإسلام والمقاومة

الصراع بين الحق والباطل قديم ومستعصٍ، بسبب بواعثه الحاقدة، وممارسة المستكبرين الباغية، ويشتد الصراع أمام واقع ظالم للمسلمين والعرب، يتمثل في عصرنا في ثالوث يتعذر جمع أضلاعه المتنافرة، ألا وهو الغرب المتكبر الظالم، والكيان الصهيوني الخبيث صنيعة الغرب والشرق، والضعف العربي والإسلامي الذي لا يملك - مع الأسف - غير الصياح والشكوى والأنين من المظالم اللاحقة بنا في كل مكان، وفي قمتها فلسطين التي تتابعت فيها ومن أجلها حروب سبع؛ بدءاً من عام ١٩٤٨، ثم ١٩٥٦، و١٩٦٧، و١٩٧٣، ١٩٨٥م، وكلها كانت لمصلحة الصهاينة بمدد غربي واضح بالسلاح والمال، ثم بدأت هزائمهم في عام ٢٠٠٦م في لبنان على يد «حزب الله» وعام ٢٠٠٨م على يد حركة حماس في غزة، على الرغم من كون هذه الحرب الأخيرة لمدة ثلاثة أسابيع والتي هي الحرب السابعة مع «إسرائيل» حرب إبادة وحشية، ومحرقة، وتدمير المدنيين، استخدمت فيها أعتى وأشرس الأسلحة العادية والمحظورة دولياً وإنسانياً مثل قنابل الفوسفور الأبيض والنابالم والقنابل العنقودية، والصواريخ الهائلة براً وبحراً وجواً، بمئات الغارات في اليوم الواحد.

وفي جميع الحروب يتنكر العالم الغربي لما هو مشروع دولياً من حق المقاومة للدفاع عن النفس والوطن، وتنقلب الموازين، وتتعدد المكاييل، وتصدر القرارات في مجلس الأمن مؤيدة للصهاينة، وغير معنية بالحق العربي والظلم الإنساني، وكأن أمريكة وحلفاءها الأوروبيين الذين يجعلون المساس بالوجود الصهيوني خطاً أحمر، لا يجوز تجاوزه، حفاظاً على مصالحهم التي تتبناها وتحمي كيانها فقط من غير أي اعتبار آخر.

وأقول، مع الأسف الشديد: إن كل هذه الحروب الظالمة ضد العرب في

obeikandl.com

فلسطين هي من أجل ترسيخ وجود الكيان الصهيوني في فلسطين بالباطل وإلحاق الجور والتعسف ضد العرب الفلسطينيين.

ولم يدركوا إلى الآن أن الحروب السبع ستزيد المقاومة والصمود اشتعالاً وضراوة، وتمسكاً بتقديم مختلف أنواع التضحيات، لأن المقاومة أو الدفاع حق طبيعي مشروع في مختلف الأنظمة والاتفاقيات الدولية، ومنها ميثاق الأمم المتحدة في المادتين ٥٣، ١٠٧، وكذلك منع بعض الأسلحة المدمرة، مثل اتفاقية جنيف الأولى لسنة ١٨٦٤م، وإعلان سان بطرسبورغ لعام ١٨٦٨م، لحظر القذائف المتفجرة، وإعلان لاهاي لسنة ١٨٩٩م حول قذائف دمدم والغازات الخانقة، واتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧م واتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩م، واتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤م، لحماية المواقع الثقافية في زمن النزاعات المسلحة، واتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية لعام ١٩٧٢م، واتفاقية ١٩٨٣م لمنع استخدام بعض الأسلحة، وأهمها الفوسفورية ضد المواقع العسكرية، واتفاقية باريس لحظر الأسلحة الكيماوية، واتفاقية الأمم المتحدة لعام ١٩٨٠م بشان حظر بعض الأسلحة[١].

إلا أنه، مع كل هذا، يسكت الغرب عن جرائم (إسرائيل)، ويصف المقاومة في الأرض المحتلة على مدى ستين سنة فأكثر بأنها إرهاب، ووصف منظمة حماس والجهاد ونحوهما بأنها حركات إرهابية، مع أنها في الميزان الصحيح هي حركات مقاومة مشرفة ضد العدو المحتل الدخيل، وهذا أسوأ مثل للمعاملة المزدوجة أو الكيل بمكيالين.

إن السبب الأساسي في مشروعية الجهاد في الإسلام إنما هو من أجل مقاومة العدوان، كما نص في الآية الكريمة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٢٢/ ٣٩-٤٠].

---

(١) بحث الأستاذ خليل حسين (جرائم إسرائيل في غزة وتداعياتها القانونية والسياسية)، المنشور في مجلة (شؤون الأوسط)، ص٦٥ وما بعدها.

فيكون التمسك بالحق والدفاع عن الوطن واجباً وفضيلة وشرفاً، وليس إرهاباً أو خروجاً على الأنظمة والقوانين، ويكون الاحتلال والتدخل في شؤون الدول الأخرى كأفغانستان والعراق والسودان والصومال وغيرها، هو الجريمة الصارخة التي لا مسوغ لها ولا منطق فيها، إلا منطق الجبابرة والطامعين وسلب الأوطان حريتها، ومصادرة ثرواتها وسرقة خيراتها ومعادنها النفطية والمعدنية المختلفة.

إن المقاومة المشروعة لدى الأمم كافة، والأنظمة والقوانين ترقى في تقديرنا نحن العرب (في الإسلام والمسيحية) إلى درجة القداسة، وهي واجب وطني وديني معاً، ملزم لا هوادة فيه، وطريق متعين، لا سبيل آخر سواه لردع العدوان الغربي والصهيوني في المنطقة العربية، وبخاصة في فلسطين، ولن تموت هذه الأمة، ولن ينسى الفلسطينيون والعراقيون والأفغان جراحهم ودماءهم وشهداءهم على مدى التاريخ، حتى يطردوا المحتل، ويقهروا جحافل الظالمين.

المقاومة فريضة تعبر عن الجهاد والحق، وعنوان عزة وكرامة وإباء.

والمقاومة لا تعتمد على التكافؤ في ميزان القوى وأسلحة المتحاربين، بل تعتمد إرادة وتمسكاً بالحق الأصيل، وعقيدة المقاومين كفيلة بتغيير موازين القوى لحساب الطرف المقاوم، الأضعف عسكرياً، ولو بعد حين.

إن عقيدة الشهادة وإرادة الاستشهاد في تعزيز نهج المقاومة وتثبيت إرادة المقاومين تعد قمة التوازن، بل أساس (التفوق الاستراتيجي) في ميزان القوى، بل إن عقيدة الاستشهاد أقوى أسلحة العصر قاطبة، وقد أعلن القائد الغربي مونتغمري بعد الحرب العالمية الثانية أن القوة المعنوية تعادل ٧٠٪ لانتزاع النصر، وقد كانت المعجزة الصارخة في انتصار حزب الله على الصهاينة عام **٢٠٠٦**م وثبات منظمة حماس في غزة وقهر الصهاينة بعد ثلاثة أسابيع من القصف والحصار في نهاية عام **٢٠٠٨**م ومطلع عام **٢٠٠٩**م.

لذلك فإن الكيان اليهودي في فلسطين لا يخشى سوى حزب الله وحماس، ويحرص على تدميرهما بكافة الوسائل ومطالبة العرب بالتخلي عن حركة

المقاومة وإدانتها، ويتنامى لديهم الإساءة المتعمدة إلى المعتقدات الدينية، بوصف العمليات الاستشهادية بالانتحارية الإرهابية، ويفتي بعض كبار المفتين بذلك، فقلت له: إن هذه الفتوى أعظم هدية تقدم لإسرائيل، وتنشر (إسرائيل) ثقافة الكراهية للعرب والمسلمين عامة، وتردد أمريكة والغرب والشرق أن (إسرائيل) تدافع عن نفسها، علماً بأنها هي البادئة بالحرب، واقتراف المظالم، والاستمرار في ترسيخ نظام الدولة اليهودية، وطرد العرب جميعاً من فلسطين.

ومن المؤسف أن مجموعة من الدول العربية تنصاع لمطالب أمريكة وحلفائها وتسويق ثقافة جديدة تمسخ (الإسلام)، وتجعله (استسلاماً وهواناً) تحت مظلة الدعوة إلى إصلاح الخطاب الديني، ونبذ العنف والتسامح، وعقد مؤتمرات الوسطية التي تجاوزت أربعة عشر مؤتمراً، وقبول الاتجاه الآخر (الأمريكي الصهيوني، والإسلامي الليبرالي المعتدل ونحو ذلك).

المقاومة تتطلب أربعة أمور:

الأول: الإعداد والتحضير السابق لمستلزمات المقاومة، لقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٨/ ٦٠].

الثاني: تنمية وتطوير أساليب القتال وحرب المناورات والمفاجآت والعصابات، وتربية الناشئة والجيل الصاعد لمواجهة الأعداء على الدوام.

الثالث: تمجيد ثقافة المقاومة والشهادة وتكريم الشهداء.

الرابع: غَرْس ثقافة كراهية العدو الصهيوني ومَن وراءه من الغربيين(١).

ومن المعلوم أن اندلاع انتفاضة الأقصى حركت النهج المقاوم في الشارع العربي والإسلامي، وتوِّجت في العيد الثامن للمقاومة والتحرير أواخر عام **٢٠٠٨**م حيث تحقق الإنجاز التاريخي بانتصار المقاومة في غزة على الجيش الإسرائيلي، عقب انتصار حزب الله في جنوب لبنان عام **٢٠٠٦**م، فتحية إكبار

---

(١) مقال الأستاذ عبد الوهاب زيتوني بعنوان (المقاومة عنوان عزة وكرامة) في الموقف الأدبي بدمشق، العدد ١١١٠، بتاريخ ٢ رجب ١٤٢٩، ٥/ ٧/ ٢٠٠٨.

واعتزاز للشهداء والمجاهدين من أبطال المقاومة الإسلامية، ولعل ذلك يؤذن بتتابع الانتصارات، بعد الهزائم السابقة على مدى ستين سنة بمؤازرة أمريكة وحلفائها، علماً بأن العرب لم يقاتلوا في الماضي الصهاينة، وإنما قاتلوا الغرب كله، لأنهم يمدون الكيان الصهيوني بكل شيء من المال والسلاح بأنواعه المختلفة براً وبحراً وجواً، وبالتغطية الإعلامية، وبالقرارات الدولية في مجلس الأمن بما يحقق مصلحة (صهيون) ومصالح الغربيين.

أما مصالح الشعب الفلسطيني وحقوق الفلسطينيين والتي تميَّع ويجري حولها حوارات ووعود وخطط كثيرة، فلا تجد لها ظلاً للحماية ولا للإنصاف، ومنها الحق في بناء الدولة، والحق في تقرير المصير، وحق السيادة والعودة، وحق الدفاع عن الذات والكرامة، وحق الاستقرار والحياة والأمن والحرية من غير فصل عنصري، دون طرد ولا تشريد ولا مصادرة أراضٍ ولا قطع لشجر الزيتون وغيره، ولا ممارسة عنف وإرهاب وبطش وقتل وحصار وتجويع وتدمير بالأسلحة المحظورة كالفوسفور الأبيض وغيره، وارتكاب جرائم الإبادة الجماعية التي سجلتها تقارير من الأمم المتحدة وغيرها.

وتحاول الحكومة الصهيونية المتطرفة بزعامة نتنياهو ووزير خارجيته ليبرمان استعادة هيبتها بافتعال نصر يمسح عار تموز **٢٠٠٦**م وكانون الأول **٢٠٠٩**م، إما بقصف المفاعل النووي في إيران، وإما بهجوم استباقي للصهاينة على سورية وغيرها، بعد أن مروا بالهزيمة في تقرير للاستخبارات الصهيونية العسكرية، وهو تقرير (فينوغراد) الذي ورد فيه: «إن مجموعة مسلحة تضم بضعة آلاف من المقاتلين غير النظاميين، استطاعت أن تهزم الجيش الذي لا يقهر، وتلحق به هزيمة نكراء».

والصهاينة الجبناء يصطادون كل فترة زعيماً للمقاومة، أو يدمرون منازل الآمنين؛ كما حدث في جنوب لبنان وغزة، وجنين والخليل وبيت حانون، وغيرها من أجزاء الضفة الغربية.

أما الأنظمة العربية والأمة كلها فهي تتفرّج على هذه المآسي والجراح

والجرائم الوحشية والإبادة الجماعية والطرد والإجلاء لعرب فلسطين، وكذلك نهب خيرات الأردن ومياهه، والعراق وثرواته، وأفغانستان وشعبه حيث سقطت آلاف الضحايا، وأريقت دماء عزيزة وطاهرة.

ولم يبق أمام الأمة إلا المقاومة المشرفة وإسقاط كل الألوان الاستهلاك والتطبيع كمنظمة دول البحر المتوسط وكل المخططات الصهيونية والغربية، أفلا تستحق هذه المقاومة الباسلة في فلسطين وغيرها بذل أقصى التضحيات بالدم والمال والسلاح للحفاظ على ما بقي من مقدساتنا؟!

obeikandl.com